العلاقة ما بين المسرح والمنظور

درج الأنسان منذ بداية العصور الغابرة على أن يقلد شكل الأشياء التي كانت تسترعي نظرة، سواء بالرسم أو الحفر ففي عصر ما قبل التاريخ وجدت في بعض الكهوف وسهل الدروني (Dorogne) بفرنسا، مجموعة هائلة من الرسومات لحيوانات مختلفة. وهي بالرغم من سذاجتها كانت ذات قيمة لاشك فيها من الوجهة الفنية ولم يظهر فيها أي أثر للتجسيم (Relief) وقد لوحظ بأن جميعها ممثلة بالشكل الجانبي (Profile) ويمكن ملاحظة ذلك أيضاً في حفريات وصور الديانات الأسيوية القديمة كالكلدانية والأشورية مثلاً. أما المدينة المصرية القديمة فهي غنية بالأثار لمناظر الحرب والصيد. وأن قامات الأشخاص مختلفة الأحجام بعضها عن البعض، ولكن هذا لم يكن نتيجة لموقعهم من حيث الفراغ ولكن نسبة الى مراكزهم الأجتماعية مثلاً قامة الملك أكبر قامة المحاربين، وقامة العبيد هي أصغر القامات جميعاً. على أن مراعاة الأبعاد بين الأشخاص كانت دائماً في الأعتبار بدليل أن الأشخاص كانوا يترتبون في صفوف متراصة بعضها فوق البعض بحيث كانت الصفوف العليا تمثل بعداً أكثر من الصفوف السفلى وجدير بالذكر بأن (بليني) تتبع تطور التصوير في أوائل أيام الأمبراطورية الرومانية وحذا حذو أكسنيوكراتسي وأَبليس وغيرهما من الكتاب اليونانيين، فأوضح أن الفن قد أثرى يوماً بعد يوم منذ زمن الرسوم وحيدة الخط في مصر القديمة. وقد تم هذا بفضل أكتشاف الضوء والظل وتباين الألوان، وعن طريقها جميعاً تميز الفن نفسه وتباين من حيث الشكل والوظائف. كما تم هذا التنويع في مظهر الملامح وتعبيرها ووضع الأطراف، وبأدخال الطيات في الأقمشة والألبسة وبأضهارها على أنها شفافة، وبتغطية الجدران بصور المناظر الطبيعية والأشخاص ويقول (بليني) أن (بارهاسيوس) أسهم كثيراً بوصفه أول من أستخدم النسب في التصوير وأضفى حيوية على تعابير الوجه، أما أبليس الخوصي فكاد أن يكون الوحيد الذي أضاف الى التصوير أكثر من كل الفنانين مجتمعين، ونشر عدة مجلدات تحتوي على مبادء التصوير، وكانت مخترعاته نافعه لسائر الفنانين بالقدر نفسه وكان (سبيراوس نادوس) فيما بعد هو أول من أدخل اسلوب تصوير المنازل والأروقة الريفية ومناظر الحدائق على الجدران. في حين أن (بوسياس) أضاف طريقة رسم الحيوانات مع تقصير الخطوط بغية أبراز الصورة أي على شكل مصغر مع الأحتفاض بالنسب..

ومما يوضح الرؤية المنظورية للأشياء ((موزاييك)) موقعه أربل ورسومات بومباي، التي جاءت بعد ذلك بعدة قرون لتدل على وجود علم المنظور بصورة واضحة.

أما في بلاد الغرب في القرون الوسطى فأن رسومات النسيج والمخطوطات الصغيرة قد حاولت أتقان علم المنظور الذي كان في حلته النضرية وذلك بأتباع طريقة تعلية الصفوف بعضها فوق بعض، وظلت الحال على ذلك الى أن جاء عصر النهضة في أيطاليا، فأشترك فنانو ذلك العصر في وضع الأسس والقواعد العلمية للمنظور مثل (باولو أوتشيلو- Paolo uceilo) الذي وضع أسس علمية، و (سيرليو) و(فيليبوبروتولسكي) اللذان ثبتا قواعده. وفي القرن السادس عشر ساعد ظهور الميلودراما على تقدم فن المناظر المسرحية تقدماً باهراً نحو تنقيح المنظور ونقطة النظر

المسرحية بطريقة الأشعة البصرية لتحقيق الرؤية السليمة للمنظر ولتنفيذ المطلوب رسمه، ومن أشهر فناني ذلك العصر (باتشيوديل بيانكو) و(جوليو باربجي) و(برتيني) في عام 1600 ثم في عام 1700 بفضل عائلة (بينينا) التي ضمت من المهندسين المعماريين والرسامين أشخاصاً ذوو مواهب ممتازة، ومن أهمهم (فرانشيسكو وفريناندر) وعرف بعد ذلك بأسم المدرسة الأيطالية.

أنتقل بعد ذلك علم المنظور المسرحي الى فرنسا أيام حكم الملك لويس الرابع عشر. وأدخل عليها بعض التعديلات للحصول على المقاسات المنظورية للقطع المختلفة في أبعادها المطلوبة لتحقيق التنفيذ المرغوب بطريقة الاشعة البصرية ونقط الزوال وعرف بأسم المدرسة الفرنسية أما في ألمانيا في القرن السابع عشر فقد أرسيت للمنظور المسرحي قواعد هندسية محضة، ليقيموا عليها طريقتهم في الرؤيا السليمة للمنظر ولتحقيق التنفيذ المطلوب وهذا ما عرف عن الألمان من منطقتهم للأمور وأخذها بناء على أسسى رياضية سليمة محضة دون تغيير أو تبديل.

أن جميع هذهِ المدارس المختلفة بحثت في أيجاد الحلول في توضيح الرسم المنظوري المسرحي السليم كما يراه الناظر من اماكن المتفرجين بالصالة. وأتباع الطرق الصحيحة لخدمة التنفيذ المسرحي تحقيقاً لفكرة التصميم ومطابقة له وذلك بأيجاد طرق رسم يسهل بها التعبير عما يجول في مخيلة الفنان ليعبر عن الآخرين أو ينقل لهم شيئاً من خبرته الماضية أو اتجاهاته ومشاعره وأفكاره الحاضرة وجعلها محسوسة أو مجسمة بطريقة يمكن أدراكها.

أن الفن المسرحي فناً يجمع بين كل الفنون من ادب وتمثيل ورقص وديكور ومنظور وملابس وأضاءة وموسيقى وماكياج، لذلك يعد بأنه فن تراكمي حتى في أساسياته: المحتوى، الشكل، المعنى، الأسلوب، المضمون، وكان موضوع دراسة واسعة. وقد جرى أستقصاء خلفياته وأسسه الثقافية لغرض أكتساب المعرفة المستفيضة القائمة على الحقائق.

أن المسرح تراث أجتماعي ينمو على مر العصور، ويتطور يوماً بعد يوم بفضل أسهام الأفراد المتعاقبين، في أقتناء مشترك أكبر وأبقى على الزمن من أتباع أي فنان بمفرده، ذلك لأن العمل الفني لايعدُّ خلقاً فريداً، بل خطوة على طريق التطور الثقافي.

وقد يعد المنظور أيضاً على أنه جهاز مفاهيمي للتحليل الوصفي للأشكال، وذلك للحصول على رؤية مطابقة تماماً للشكل الفني في ترتيب منظم. ويهدف المنظور دائماً الى معالجة المشاكل المرئية في عمق وتوسع وتفسير سماتها للحصول على أسهل الطرق لأيضاحها بخبرة واعية.... وتحليل الأشكال الى خطوط متعددة من حيث مكوناتها، وتركيبها بحيث تظهر الصورة المراد رسمها ذات العلاقات المتبادلة منشورة أمام الرئي في وضوح، حسب أوضاع مختارة مع تصنيف للطرق والأساليب، وتنتهي هذهِ الأوصاف شيئاً فشيئاً الى الموضوعية العلمية أن أستخدام المنظور يتناول كل ما هو مطلوب رسمه وأيضاحه بغرض النظر في الأشياء من كل جوانبها لفهمها فهماً أفضل وأبرازها خير أبراز ويكشف المنظور الاستقصاء في المستقبل عن علاقات الأشكال بطريقة أكثر تحديداً مما يحدث بدون أتباع قواعد المنظور. وهذا يقتضي شيئاً أكثر من الدراسة الدقيقة،

وليس بين المجالات المختلفة سوى الأبحاث الهندسية لتقدم لنا مدى أوسع من المادة الملموسة لمثل هذهِ الدراسات أن أستخدام النموذج وسيلة للتصميم من دون الألتجاء الى الرسم المنظور المسرحي واللوحات التنفيذية هو شيئاً خاطئ لعدم أستناده الى الأسس العلمية فيصبح غير واضح الرؤية والمعالم والنتائج لأفتقاره للموضوعية التي يتطلبها العمل العلمي السليم. وهذا يأتي من عدم المعرفة التامة بالطرق التي تتبعها المدارس المختلفة في المنظور المسرحي ومزايا وعيوب كل طريقة. وأيضاً صعوبة الطرق التي تتخذها هذهِ المدارس كوسيلة لأيضاح التصميم والتنفيذ لذلك يجب اللجوء الى الطرق الصحيحة والسليمة في المنظور المسرحي للحصول على تصميم متكامل مثالي وعلى نتائج مضمونة وبهذا يصبح المنظر المسرحي جامعاً بين الفكرة للتصميم ومضمون العمل الفني .....